المادي الجسدي المحض ، كما ظهر عند عمر بن أبي بيعة وأبي نواس قديماً ، وكما ظهر عند حسين مردان ونزار قباني حديثاً على مستوى الشعر ، وكما تعج به الرواية الأوربية التي تستقي مادتها من الرواية الأوربية وتسير على ضلالها ، وليس مثال إحسان عبد القدوس عليك ببعيد . . .

أهي هذه العاطفة ، أم عاطفة الحقد الطبقي أو الشخصي الذي فتح له الحكم الأموي الأبواب كلها ، فكان (جرير) يخلي داره ، فينزع ملابسه ليبقى عارياً ، يصول ويجول في البيت ليتصيد المثالب الفاضحة عند خصومه من الشعراء،وخاصة الفرزدق ، لا يخضع في ذلك إلا للهوى ونزعة الحقد وطموح المجد الكاذب .

ومن المعلوم أن الإسلام يرفض ، بل ويعاقب على هذه العواطف المتدنية،شأنها شأن الأعمال المتدنية التي يعزّر الإسلام مرتكبيها لأنها مفسدة للفرد والمجتمع الإنساني الذي جاء الإسلام ليأخذ بيده نحو الرقي الروحي والمادي على السواء . لقد كان المقياس الإسلامي هو (من أحبَّ لله ، وكره لله ، وأعطىَ لله ، ومنع لله ، فقد استكمل الإيمان) كما قال رسول الله ﷺ . (لله) هذا هو المقياس الذي تتنوع معه الأعمال والعواطف ولكنها تبقى دائماً (لله) . . .

إن الإبتعاد عن هذا المقياس ، أو التذبذب بين الدخول في محيطه والخروج عن هذا المحيط ، هو الذي جعل سمة (الأزدواجية) بارزة في حياة الشعراء،كما عرفنا من حياتهم في تاريخ الأدب العربي عل وجه الخصوص ، فكم من الشعراء هجا (أميراً) أو حاكماً ثم مدحه ، أبو العكس ، وكم من شاعر نافق هذا الحكم أو أطراه بما ليس فيه طمعاً في نيل العاجل من هباته ، بل إن الأمر ليس وقفاً على الأدب العربي وحده ، فقد عبّر الشاعر اليوناني المعاصر عن هذه الأزدواجية الواضحة خير تعبير في قوله:

بين فينةٍ وأخرى ، يرنّ صوتٌ حلو
في شغافِ قلبي ، قائلاً : «لا تخش ولاتخف ،
فسأضع القوانين ، وأرسي النظام ؛ أنا الله ،
فكن مؤمناً» لكنه على التوّ ينبع عواءً